

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جامعة سامرا

كلية العلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية وآدابها

عنوان:

عنصر اللون في ديوان ابن خفاجة الأندلسي

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

الأستاذ المشرف:

الدكتور صادق عسكري

الأستاذ المشرف المساعد:

الدكتور علي أصغر قهرماني مقبل

إعداد:

زهرا زارع خفري

شتاء عام ١٣٩٠

تعهد نامه

اینجانب زهرا زارع خفری دانشجوی کارشناسی ارشد زبان و ادبیات عربی دانشگاه سمنان دانشکده علوم انسانی تعهد می نمایم که محتوای این پایان نامه نتیجه تلاش و تحقیقات خود بوده و از هیچ منبعی کپی برداری نشده و به پایان رسیدن آن نتیجه تلاش و مطالعات مستمر اینجانب و راهنمایی و مشاوره اساتید محترم بوده است.

زهرا زارع خفری

1390/11/23

کلیه حقوق مادی و معنوی مترتب بر نتایج مطالعات، ابتکارت و نوآوری های ناشی از تحقیق
موضوع این پایان نامه متعلق به دانشگاه سمنان است.

الإهداء

إلى والدي الذي علّمني المثابرة
إلى أمّي التي علّمتني الصبر والحنان
إلى زوجي الذي يسرّح من نجاحي
إلى أخويني وأخواتي
إلى أستاذي الذي زرع في نفسي حبّ الأدب العربي

چکیده

رنگ یکی از بارزترین عناصر طبیعت در جهان پیش روی انسان است. ویکی از عناصری است که در دیوان شاعران نقش اساسی را بازی می کند. رنگ از زمان جاهلی تا کنون مورد توجه شاعران بوده اما دایره رنگ ها در گذشته به وسعت عصرهای بعدی نبوده و در واقع تنوع رنگ ها در آن زمان در میان مردم بسیار کم بوده. و هر چه از عصر جاهلی فاصله می گیریم و به عصر عباسی و اندلسی نزدیکتر می شویم دایره ی رنگ وسعت بیشتری پیدا می کند. و این امر تابع پیشرفت تمدن و فرهنگ و تحوّل در بخش های مختلف زندگی، و همچنین آشنایی اعراب با تمدن های بزرگ آن زمان چون ایران و روم است. در دوره های مختلف برخی از رنگ ها در نزد مردم بخصوص شاعران بیشتر مورد توجه بود، و این امر به شرایط محیطی و زمانی و فرهنگی و روحی و دینی و... بستگی دارد.

ادبیات عربی در اندلس از دوره های درخشان در تاریخ ادبیات عرب است، و ما در این دوره با تنوع و کثرت رنگ روبرو هستیم. زیرا طبیعت این سرزمین طبیعی زیبا و سرشار از سحر و جادو است، و طبیعت یکی از سرچشمه های اصلی الهام شاعران در استفاده از رنگ می باشد. ابن خفاجة از جمله شاعران اندلسی است که طبیعت را موضوع شعر خود ساخت. وصف در دیوان ابن خفاجة بسیار است شهر او یکی از زیبا ترین بلاد اندلس بود و ابن خفاجة در دامن آن طبیعت دلفریب پرورش یافت. و همواره به مناظر آن در شعر توجه می کرد و این محیط می توانسته در استفاده ی او از رنگها کمک کند، زیرا او رنگ هایی را که در طبیعت پیرامون خود می دیده در شعرش زیاد به کار برده. دیوان ابن خفاجة که حدود ۲۸۰۰ بیت دارد در نزدیک به ۷۱۲ بیت آن استفاده از رنگ مشاهده می شود پس حجم زیاد رنگ در دیوان ابن خفاجة نشان دهنده ی اهمیت رنگ در نزد شاعر است. او از جمله شاعرانی است که اغراض مختلف شعری مثل رثا، غزل، فخر و حماسه و... را با وصف طبیعت در هم آمیخته.

ابن خفاجة در دیوانش رنگ ها را هم به شکل مستقیم و هم به صورت غیر مستقیم به کار برده. رنگ های مستقیم رنگ هایی هستند که شاعر لفظ همان رنگ را در شعرش به کار برده، مثلاً لفظ أزرق را برای آبی به کار برده. اما رنگ های غیر مستقیم رنگ هایی است که شاعر با آوردن ترکیبی خاص رنگ مورد نظرش را اراده کرده مثلاً شاعر برای بیان رنگ سرخ گونه، عبارت گونه ی آتشین را به کار برده، زیرا رنگ آتش قرمز است. و به نظر می آید که بسامد رنگ های سیاه و سفید در دیوان شاعر بیشتر از سایر رنگ هاست، به خصوص در وصف شب و روز.

از جمله اموری که در اسلوب شاعر مورد توجه است استفاده از تشبیه و استعاره برای بیان رنگ هاست که بیشتر در رنگ های غیر مباشر دیده می شود. و در ساخت تشبیهات مرکب از چند رنگ در کنار یکدیگر استفاده کرده است. و به نظر می آید که این خفاجة در میان مفردات از صفت مشبه در

ساختار رنگ‌ها بیشتر استفاده کرده. و کثرت اضافه لفظی و صفت و موصوف در ابیات او مشاهده می‌شود. و در میان بجز شعرهای از بجزهای طویل و کامل بیشترین بهره را برده است.

واژه‌های کلیدی: ابن خفاجة، طبیعت، رنگ.

فهرس المحتويات

الصفحة

المقدمة.....	١
الفصل الأول: المؤثرات البيئية والثقافية والشخصية في أشعار ابن خفاجة اللونية	
تمهيد.....	٥
أولاً: تطوّر استعمال اللون منذ الجاهلية إلى عصر ابن خفاجة.....	٦
أ- اللون في الشعر الجاهلي.....	٩
ب- اللون في الشعر الإسلامي.....	١٣
ج- اللون في الشعر العباسي.....	١٤
د- اللون في الشعر الأندلسي.....	١٧
ثانياً: طبيعة الأندلس ودورها في أشعار ابن خفاجة اللونية.....	١٩
أ- الليل.....	٢٣
ب- الروض والأشجار.....	٢٥
ج- الأزاهير.....	٢٥
د- المياه.....	٢٧
هـ- السحاب والمطر.....	٢٨
و- الثلج.....	٢٨
ي- امتزاج وصف الخمر بوصف الطبيعة.....	٣٠
ثالثاً: حياة ابن خفاجة وشخصيته وأثرهما في نزاعته إلى اللون.....	٣٢
أ- الأسباب الخارجية في نزعة الشاعر إلى اللون.....	٣٢
ب- الأسباب الداخلية في نزعة الشاعر إلى اللون.....	٣٤
خاتمة الفصل الأول.....	٣٩

الفصل الثاني: اللون وأقسامه في ديوان ابن خفاجة

تمهيد.....	٤١
أولاً: الأبيات التي تشير إلى اللون مباشرة.....	٤٢
أ- الألوان الأحادية المفردة.....	٤٢
١- اللون الأسود.....	٤٢

- ٤٣..... - اللون الأسود للطبيعة.
- ٤٤..... - اللون الأسود للإنسان.
- ٤٥..... - اللون الأسود للحيوان.
- ٤٦..... - اللون الأسود للحرب.
- ٤٧..... - اللون الأسود للأمور غير حسية.
- ٤٨..... - ٢- اللون الأبيض.
- ٤٩..... - اللون الأبيض للإنسان.
- ٥٢..... - اللون الأبيض للطبيعة.
- ٥٣..... - اللون الأبيض للحيوان.
- ٥٣..... - اللون الأبيض للأدوات الحربية.
- ٥٤..... - ٣- اللون الأحمر.
- ٥٥..... - اللون الأحمر في وصف الخمر والنار.
- ٥٦..... - اللون الأحمر لما يتعلّق بالإنسان.
- ٥٨..... - اللون الأحمر لوصف الفرس.
- ٥٩..... - ٤- اللون الأخضر.
- ٥٩..... - اللون الأخضر لوصف الأشجار.
- ٦٠..... - اللون الأخضر لوصف الليل.
- ٦١..... - اللون الأخضر لوصف الأدوات الحربية.
- ٦١..... - اللون الأخضر لوصف الماء والسماء.
- ٦٣..... - ٥- اللون الأصفر.
- ٦٣..... - اللون الأصفر للخمر.
- ٦٤..... - اللون الأصفر لما يتعلّق بالإنسان.
- ٦٥..... - ٦- اللون الأزرق.
- ٦٩..... - ب: الألوان المركّبة.
- ٦٩..... - ١- تركيب اللونين الأسود والابيض.
- ٦٩..... - اللون الأسود مع الأبيض للطبيعة.
- ٧٢..... - اللون الأسود مع الأبيض للحيوان.
- ٧٣..... - اللون الأسود مع الأبيض للحرب.

- ٧٤ - اللون الأسود مع الأبيض للإنسان.....
- ٧٥ - اللون الأسود مع الأبيض للكتابة.....
- ٧٦ - المفردات الدال على اللونين الأسود والأبيض معاً.....
- ٧٩ - اللون الأسود مع الأبيض في المواطن غير المادية.....
- ٢- تركيب اللون الأحمر مع سائر الألوان..... ٨١
- اللون الأحمر مع اللون الأسود..... ٨١
- اللون الأحمر مع اللون الأبيض..... ٨٤
- اللون الأحمر مع اللون الأشهب..... ٨٥
- ٣- تركيب اللون الأصفر مع سائر الألوان..... ٨٧
- اللون الأصفر مع اللون الأسود..... ٨٧
- اللون الأصفر مع اللون الأبيض..... ٨٨
- اللون الأصفر مع اللون الفضي..... ٨٩
- اللون الأصفر مع اللون الأحمر..... ٩٠
- ٤- تركيب اللون الأزرق مع سائر الألوان..... ٩١
- اللون الأزرق مع الألوان الغامقة..... ٩١
- اللون الأزرق مع الألوان الفاتحة..... ٩٢
- ٥- تركيب اللون الأخضر مع سائر الألوان..... ٩٤
- اللون الأخضر مع اللون الأزرق..... ٩٤
- اللون الأخضر مع اللون الأبيض..... ٩٥
- اللون الأخضر مع سائر الألوان (اللون الأحمر واللون الفضي واللون الأسود)..... ٩٥
- ٩٨..... ثانياً: الأبيات التي تشير إلى اللون غير مباشرةً.....
- أ- الألوان المفردة..... ٩٨
- ١- اللون الأبيض..... ٩٩
- اللون الأبيض للإنسان وما يتعلق به..... ٩٩
- اللون الأبيض للطبيعة..... ١٠١
- اللون الأبيض للحيوان..... ١٠٣
- اللون الأبيض للخمر..... ١٠٤
- ٢- اللون الأسود..... ١٠٥

- ١٠٥..... - سواد الليل
- ١٠٨..... - سواد الكحل والعين
- ١٠٩..... - اللون الأسود في المواطن الأخرى
- ١١١..... - ٣- اللون الأحمر
- ١١١..... - حمرة الدم
- ١١٢..... - حمرة الخد
- ١١٤..... - حمرة الخضاب
- ١١٥..... - ٤- اللون الأصفر
- ١١٥..... - صفرة الشمس
- ١١٦..... - صفرة الذهب والدينار
- ١١٧..... - صفرة الأزهار والأثمار
- ١١٨..... - ٥- اللون الأخضر
- ١١٩..... - ٦- اللون البنفسجي
- ١٢١..... - ب: الألوان المركبة
- ١٢١..... - ١- اللونين الأبيض والأسود
- ١٢١..... - اللون الأبيض مع الأسود للطبيعة
- ١٢٤..... - اللون الأبيض مع الأسود للخمر والنار
- ١٢٤..... - اللون الأبيض مع الأسود لأمور غير حسية
- ١٢٥..... - اللون الأبيض مع الأسود للإنسان
- ١٢٧..... - اللون الأبيض مع الأسود للحيوان
- ١٢٨..... - اللون الأبيض مع الأسود للحرب
- ١٢٩..... - ٢- تركيب اللون الأحمر مع سائر الألوان
- ١٢٩..... - اللون الأحمر مع اللون الأبيض
- ١٣١..... - اللون الأحمر مع اللون الأسود
- ١٣٣..... - اللون الأحمر مع اللون الرمادي
- ١٣٤..... - ٣- تركيب اللون الأصفر مع سائر الألوان
- ١٣٤..... - اللون الأصفر مع اللون الفضي
- ١٣٥..... - اللون الأصفر مع اللون الأسود ومع اللون الأبيض

- ١٣٧..... - اللون الأصفر مع اللون الأحمر.....
- ١٣٨..... ٤- تركيب اللون الأخضر مع سائر الألوان (أبيض، أصفر، أحمر).....
- ١٣٩..... ثالثاً: لونيّات ابن خفاجة (الملحقّات).....
- ١٤٦..... خاتمة الفصل الثاني.....

الفصل الثالث: أسلوب ابن خفاجة في لونيّاته

- ١٥١..... تمهيد.....
- ١٥٢..... أولاً: الموسيقى.....
- ١٥٢..... أ- الموسيقى الخارجيّة.....
- ١٥٢..... ١- البحور والأوزان.....
- ١٥٨..... ٢- القافية.....
- ١٥٨..... ب: الموسيقى الداخليّة.....
- ١٦٠..... ثانياً: المفردات.....
- ١٦١..... أ- الألوان على صورة الصفة المشبّهة.....
- ١٦٣..... ب- الألوان على صورة جمع التكنّيز.....
- ١٦٤..... ج- الألوان على صورة المصدر.....
- ١٦٥..... ١- الألوان على وزن فَعَالٍ وفُعْلة.....
- ١٦٧..... ٢- الألوان على وزن فَعَلٌ، والمصدر الصناعي.....
- ١٦٩..... د- الألوان على صورة الفعل.....
- ١٦٩..... ١- الفعل الماضي.....
- ١٧١..... ٢- الفعل المضارع.....
- ١٧٢..... ثالثاً: التراكيب.....
- ١٧٢..... أ- الجمل الفعلية.....
- ١٧٤..... ب- الجمل الاسميّة.....
- ١٧٥..... ج- الألوان في إطار النعت والمنعوت.....
- ١٧٦..... ١- النعت المفرد.....
- ١٧٧..... ٢- الجملة النعتيّة أو الوصفية.....
- ١٧٨..... ٣- حذف المنعوت.....

١٧٩.....	د- الألوان في إطار الإضافة اللفظية.....
١٧٩.....	١- إضافة المصدر إلى معموله.....
١٨٠.....	٢- إضافة جمع التذكير إلى معموله.....
١٨١.....	٣- إضافة اسم الفاعل وصيغ المبالغة إلى معموله.....
١٨٢.....	٤- إضافة اسم المفعول إلى نائب فاعله.....
١٨٣.....	رابعاً: الصور الشعرية والوجوه البلاغية.....
١٨٥.....	أ- التشبيه.....
١٨٥.....	١- التشبيه المفرد.....
١٨٧.....	٢- التشبيه المركب.....
١٩٠.....	ب- الإستعارة.....
١٩١.....	١- الإستعارة المكنية.....
١٩٢.....	٢- الإستعارة التصريحية.....
١٩٤.....	٣- الإستعارة التبعية.....
١٩٤.....	ج- الكناية.....
١٩٦.....	د- الطباق.....
١٩٧.....	هـ- الجناس.....
٢٠٠.....	ي- ردّ العجز على الصدر.....
٢٠٢.....	خاتمة الفصل الثالث.....
٢٠٤.....	الخاتمة.....
٢٠٩.....	فهرس الأعلام.....
٢١٠.....	فهرس الأبيات.....
٢٢٤.....	قائمة المصادر والمراجع.....
٢٢٤.....	أولاً: الكتب العربية.....
٢٢٧.....	ثانياً: الكتب الفارسية.....
٢٢٧.....	قائمة المقالات.....
٢٢٨.....	قائمة الرسائل والأطاريح.....

المقدمة:

قدرة التخيل مظهر من مظاهر الذوق عند كل الشاعر. البيئة التي تحيط بالشاعر مختلفة الألوان. ويستمد الشعراء من الألوان للتعبير عن قسم من مشاعرهم. فاللون من أبرز العناصر في دائرة المحسوسات، وقد عني به الشعراء منذ القدم، ونحن نشاهد حولنا الألوان المختلفة كل اليوم.

دارت هذه الرسالة حول عنصر اللون في ديوان ابن خفاجة الأندلسي الذي عاش في بيئة حافلة بالجمال والخضرة هي الأندلس. فالأندلس بلد مخضّر وخصب حتى يتغني الشعراء بجماله ولهذا كان تخيل الشعراء الأندلسيين متنوعاً لتنوع الألوان. كان ابن خفاجة الأندلسي يصف طبيعة الأندلس ومباهجها كثيراً، لأن بلد الشاعر كان من أجمل البلاد في الأندلس وطبيعته جميلة وخلابة. وقد نشأ في أحضان هذه الطبيعة الخلابة وقد نظم أبياتاً جميلة في هذه الطبيعة الملونة، فلا نستطيع أن لا نلتبس أثرها في استخدام اللون في ديوان ابن خفاجة. وهناك قسم عظيم من أبيات ديوان الشاعر ذات الدلالات اللونية، وهذا يدل على أهمية اللون عند الشاعر، وقد استفاد ابن خفاجة من الصور البلاغية في استخدام الألوان وصياغة الصور.

شاهدنا في الدول العربية رسائل مختلفة حول اللون في دواوين الشعراء المختلفة، لكن في إيران ما تعرض بهذا العنوان كثيرة، وشاهدنا رسائل قليلة حول هذا الموضوع باللغة العربية، وحول شعراء العرب، لكن وجد رسائل كثيرة حول اللون في الأدب الفارسي وشعراء الفرس.

قد سعينا في هذه الرسالة أن نجيب على بعض الأسئلة، مثل:

هل تؤثر طبيعة الأندلس الخلابة في كثرة استخدام اللون عند ابن خفاجة؟ أي لون استخدمه ابن خفاجة في ديوانه كثيراً؟ ما هو الدليل على كثرة استخدام اللون الواحد؟ ما هو دور الألوان واستخدامها في صياغة الصور؟ هل استفاد ابن خفاجة من الألوان المباشرة أم غير المباشرة؟ هل استفاد ابن خفاجة من الصور البلاغية للتعبير عن الألوان؟

في الإجابة على هذه الأسئلة واجهنا عواطف الشاعر وقوة تخيله وكثرة اصطدام ذوق الشاعر وذهنه أمام الألوان المختلفة، وأيضاً شاهدنا إبداع الشاعر في وصف البيئة التي تحيط به، وقدرة الشاعر في تركيب الألوان المتناقضة والمترادفة، ومقدرته في استخدام الصور البلاغية في ترسيم اللوحات الفريدة والخلابة. وكيفية استخدام المفردات والتراكيب، والموسيقى الشعرية في لونيّاته.

قد قسّمت هذه الرسالة إلى ثلاثة فصول على النحو الآتي:

قد اختصّ الفصل الأول بالمؤثرات البيئية والثقافية والشخصية في أشعار ابن خفاجة اللونية. وقد تألّف هذا الفصل من ثلاثة مباحث. في المبحث الأول قد درسنا اللون وأقسامه في اللغة العربية، ثمّ قد عالجنا تطوّر استعمال اللون منذ الجاهلية إلى عصر ابن خفاجة. في المبحث الثاني قد تكلمنا حول طبيعة الأندلس ودورها في أشعار ابن خفاجة اللونية وقد أشرنا إلى مواطن الألوان في الطبيعة من خلال أشعار

إبن خفاجة اللونيّة، مثل الليل، الروض والأشجار والأزهار والمياه و... وأمّا المبحث الثالث، فكان وقفة لتحليل حياة إبن خفاجة وشخصيّته وأثرهما في نزعته إلى اللون.

أمّا الفصل الثاني فقد اختصّ بأقسام اللون في ديوان ابن خفاجة، وقد اشتمل على ثلاثة مباحث، وكلّ مبحث قد اشتمل على مبحثين فرعيين، ويتناول كلّ مبحث على عدّة عناوين. وقد تناولنا في المبحث الأوّل الأبيات التي تشير إلى اللون مباشرة، يعني يردّ لفظ اللون في البيت مثل الأحمر والأزرق والأسود و... وقد اندرج تحت هذا المبحث عناوين فرعيّة. كالألوان المفردة مثل اللون الأسود، والأبيض، والأحمر، والأخضر، والأصفر، والأزرق، وقد تمّ ترتيب هذه المباحث على أساس حجم الأبيات. والأبيات اللونيّة المركّبة، مثل: تركيب اللون الأسود مع اللون الأبيض، وتركيب اللون الأحمر مع سائر الألوان، وتركيب اللون الأصفر مع سائر الألوان، وتركيب اللون الأزرق مع سائر الألوان، وتركيب اللون الأخضر مع سائر الألوان.

بينما قد اختصّ المبحث الثاني بأبياتاً ذات ألوان غير المباشرة وهذا المبحث ينقسم إلى عناوين فرعيين، في العنوان الأوّل نعالج الألوان غير المباشرة المفردة. وفي العنوان الثاني ندرس الألوان غير المباشرة المركّبة. وقد تناولنا في المبحث الثالث لونيّات إبن خفاجة، وننظر إلى اللونيّات نظراً عموديّةً، ونعالج قصيدة ذات ألوان متنوّعة بدلاً من البيت اللوني.

وقد تألّف الفصل الثالث من أربعة مباحث وتكلّم فيها حول الأساليب الشعريّة في أبيات إبن خفاجة اللونيّة، لأنّ إبن خفاجة قد عني بالأساليب الشعريّة ككثير من شعراء الأندلس، خاصّةً الصور البلاغيّة. في المبحث الأوّل درسنا الموسيقى في لونيّات إبن خفاجة، وقد تناولنا الموسيقى الخارجيّة يعني الأوزان والبحور والقافية، والموسيقى الداخليّة فيها. وفي المبحث الثاني قد عالجنا المفردات، وناقش الألوان في صورة الصفة المشبّهة وجمع التكسير والمصدر والفعل.

وفي المبحث الثالث قد عالجنا التراكيب في أبيات إبن خفاجة اللونيّة، وقد اشتمل هذا المبحث على الجملة الفعلية والجملة الاسميّة والألوان في إطار النعت والمنعوت. و الألوان في إطار الإضافة اللفظيّة. وفي المبحث الرابع والأخير قد تناولنا الوجوه البلاغيّة عند الشاعر وكما نعلم أن الشعراء يزيّن أبياتهم بالصور البلاغيّة. فقد تناولنا في هذا البحث التشبيه وأقسامه المفرد والمركّب. وأيضاً الإستعارة وأقسامها من التصريحية والكنايية والتبعية. وقد درسنا الكناية والطباق ثمّ الجناس وأنواعها وردّ العجز على الصدر. وقد استعمدنا في هذه الرسالة من الدراسة الخارجيّة من خلال التفحص في الكتب المختلفة حول الأدب الأندلسي وحياة إبن خفاجة وأدبه و أيضاً الكتب والرسالات، والمقالات المتنوّعة حول اللون. والدراسة الداخليّة من خلال استخراج الأبيات التي تدلّ على اللون في ديوان إبن خفاجة كما قد سعينا إلى استخراج بعض الإحصاءات حول أبيات دالّة على الألوان.

أتقدّم بجذيل الشكر إلى الاستاذ الدكتور صادق عسكري، والأستاذ الدكتور علي أصغر قهرماني مقبل
الذان ساعداني في إنجاز هذه الرسالة، وأيضاً لتوجهاتهما الدقيقة والقيّمة، وتوصياتهما السديدة، وجهدهما في
توجيه الآراء القيّمة أثناء فترة إعدادها. وأشكر من كلّ أساتذتي في قسم اللغة العربيّة في جامعة سمنان،
وكذلك أشكر من كلّ من ساعدني في إنجاز هذه الرسالة. وأخيراً فهذه الرسالة نقطة بسيطة من بحر العلم،
وهي عمل إنساني لا يخلو من النقص والقصور، وإن كان سمة من النقص أو التقصير فمنيّ. والنقص سمة
تستولي على كلّ البشر. وأعتذر بضعفي في بعض النواحي خاصّةً التعبيرات العربيّة. وأخيراً أشكر لكلّ من قدّم
نصحاً وجهداً لإنجاز هذه الرسالة.

زهرا زارع خفري

سمنان ١٣٩٠

الفصل الأوّل

المؤثرات البيئية والثقافية والشخصية في أشعار ابن خفاجة اللونية

أولاً: تطوّر استعمال اللون منذ الجاهلية إلى عصر ابن خفاجة

ثانياً: طبيعة الأندلس ودورها في أشعار ابن خفاجة اللونية

ثالثاً: حياة ابن خفاجة وشخصيته وأثرهما في نزعه إلى اللون

تمهيد:

اللون عنصر هام في الطبيعة وحياتنا من الماضي إلى الحاضر، ومظهر من مظاهر الحياة وللون دور خاص في الأدب أيضاً. فإن لم يكن اللون لا نستطيع أن نرسم مشهداً في الشعر، وإن رسمناه لم يكن جميلاً. وقلماً شاهد شاعراً أو أديباً يستعمل اللون في وصف ورسم المشاهد في آثاره الأدبية. وشاعرنا ابن خفاجة ضمن هذه الجماعة. هو استفاد من اللون كثيراً في ديوانه، وصور لنا لوحاتاً جميلة ومصبوغة بالألوان المتعددة. ولكثرة استخدامه للألوان أسباب بيئية وثقافية وشخصية، ونسعى أن ندرس هذه الأسباب في هذا الفصل. والواقع، في هذا الفصل نتحدث عن المؤثرات البيئية والثقافية والشخصية في أشعار ابن خفاجة اللونية. ونرمي إلى كثرة أو قلة استخدام اللون في العصور المختلفة.

يتألف هذا الفصل من ثلاثة مباحث. في المبحث الأول نبحث عن اللون وأقسامه في اللغة العربية، ثم نتحدث عن تطوّر استعماله منذ الجاهلية إلى عصر ابن خفاجة، ويشتمل على اللون في الشعر الجاهلي، ثم الإسلامي، ثم العباسي، ثم العصر الأندلسي. وفي كل مبحث نذكر أمثال شعرية ذي الدلالات اللونية من شعراء هذه العصور. في المبحث الثاني نتكلم حول طبيعة الأندلس ودورها في أشعار ابن خفاجة اللونية ونشير إلى مواطن الألوان في الطبيعة من خلال أشعار ابن خفاجة اللونية، مثل الليل، الروض والأشجار، الأزاهير، المياه... والمبحث الثالث، كان وقفة لتحليل حياة ابن خفاجة وشخصيته وأثرهما في نزعتيه إلى اللون. ونتحدث حول المؤثرات كتأثير الشرق على أشعار ابن خفاجة، وخياله الواسع... ومنهجنا في هذا الفصل هو منهج خارجي وداخلي. ونبرر الأبيات المختلفة للشعراء المختلفة حول اللون، ونستعمل على بعض المصادر والمراجع حول اللون وشعراء العصور المختلفة، خاصة ابن خفاجة.

أولاً: تطور استعمال اللون منذ الجاهلية إلى عصر ابن خفاجة

العالم الذي نعيش فيه مملوء من الألوان المتنوعة. لظواهر حولنا الألوان المختلفة مثل: السماء الزرقاء، الشجرة الخضراء، الليل الأسود، الصبح الأبيض و... وهذه الألوان سبب جمال الأشياء في الطبيعة حولنا. اللون صفة ثابتة للأشياء، وفي الواقع صفة ثابتة للعالم الذي نعيش فيه. لا يمكن للعالم أن يكون جميلاً بلا ألوان، فاللون ضرورة لحياة الإنسان في كل زمان. «زَيْن الإنسان الأول بيوتهم المحقّرة بأنواع الألوان ودبّجوا أداوتهم وظروفهم محل الحاجة بالألوان المختلفة و الجميلة. فقد حاول الإنسان أن يعرف أسرار اللون ورموزه دائماً وكان الطبيعة الملونة مصدر الهاماته أيضاً، واستمدّ من هذه الطبيعة الملونة في وضع قوانينه»^١. إن الألوان تحيط بنا من كلّ إتجاه، تعيش معنا ونعيش معها كلّ يوم، ونراه في كلّ لحظة، فنستمتع بجمالها و نتلذذ بالنظر إليها، وتدخّل في نفوسنا البهجة والسرور، وتدخّل مختلف الأحاسيس في النفس، وتختلف هذه الأحاسيس تجاه الألوان من إنسان لآخر. فاللون «يوقظ الأحاسيس وينمي الشعور، ويهبر النظر، وهو إما أن يكون مثيراً للعاطفة أو مهدئاً للنفس، ويظهر ذلك من خلال ما نفضّل من ألوان، عندما نقوم بتزيين مسكننا أو اختيار ملابسنا»^٢. فالألوان دور هام في إظهار الأحاسيس والعواطف. «معرفة القدماء عن اللون قليلة. إذ عرفوا الأبيض والأسود والأصفر والأحمر والأخضر و... وأقلّ بكثير من الألوان الموجودة في هذه الأيام»^٣. «كانت الألوان ثابتة في الماضي يعنيما أحسن اللغويون حاجة إلى توسيع دائرتهم اللغوية في الألوان بسبب أن أبرز اللون الجديد في الحياة وموادّ موجود في الحياة قليلاً. مضت سنوات وقرون حتى استطاع أن يكون مادة أو تركيب خاص ويزيد لون على الألوان الموجودة في اللغة»^٤. فنستطيع أن نقول ما وجد القدماء ألفاظاً خاصة لبعض الألوان الخاصة لكن مع تقدّم الحياة واللغة خلقت الألوان المتنوعة، وفي الواقع خلقت أسماء مختلفة لألوان متنوعة.

فإن العربية عرفت الألوان، واهتمت بها أي اهتمام «فعنيت العربية عناية بالألوان، وذلك على ألسنة شعرائها وخطبائها فيما وصل إلينا من الرواة أخبارها في العصر الجاهلي، وإشتدت هذه العناية في عصور إزدهار الحضارة العربية الإسلامية في المشرق والمغرب والأندلس، حتى بات موضوع الألوان من الموضوعات التي تفرد لها أبواب خاصة في مصنفات اللغويين المشهورين يضرب لنا عبدالكريم خليفة مثالا دالاً على عناية العرب، واهتمامهم بالألوان، وهو كتاب الخيل لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي، إذ أورد خليفة قائمة بالألوان الدالة على الألوان وتأكيدها، وهذا دليل على إبداع الخيال العربي في تحسس تداخل

١- أيتن، رنگ، ص ١٠.

٢- ظاهر محمد هزاع الزواهره، اللون ودلالاته في الشعر، ص ١٤.

٣- ليلا احمديان، "رسالة: برسي عنصر رنگ و جلوه های آن در شاهنامه فردوسی"، ص ١٥.

٤- محمد رضا شفيعی كدكنی، صور خيال در شعر فارسی، ص ٢٦٨.

الألوان وتمازجها في التعبير عنها بألفاظ خاصة تدل عليها»^١. اللغة العربية من اللغات التي يكثُر فيها تعدد الألوان من الماضي. يضع الأعراب في معجمهم أسماء للألوان الثانويّة (الألوان التي تجعل تحت الألوان الأساسية) مثل الكميت، الأبلق، الأشقر، الأصهب... لكن لم يكن متعدداً أو متنوعاً كالعصور التالية. وهذا طبيعيّ ويعود إلى تقدّم الحضارات وتغيّر الظروف الإقليميّة وتقدّم اللغة. واللغة مظهر تتغيّر وتتطور بمرور الزمان.

«كلّ لغة من اللغات تأخذ أسماء الألوان الأساسية من أحد عشر لونا فقط فهي: أسود، أبيض، أحمر، أصفر، أخضر، أزرق، بني، أرجواني، وردي، برتقالي، رمادي، على أن بعض اللغات تستعمل اسمين فقط: اللونين الأبيض والأسود»^٢. وكذلك «وبما أن الألوان متعددة، فتقسم الألوان إلى ستّة أقسام رئيسة هي الأسود، والأبيض، والأحمر، والأخضر، والأصفر والأزرق. وبقية الألوان تنضوي تحتها، فالكميت مثلاً ما كان لونه بين الأحمر والأسود من الخيل والإبل، وإذا غلبت عليه الحمرة فهو يلحق بالأحمر»^٣. من جهة أخرى نستطيع أن نقسم الألوان حسب استخدامها إلى مباشر وغير مباشر، إضافة إلى الألوان الأساسية والثانويّة. أمّا استخدام الألوان بشكل المباشر يعني تأتي بلفظ الألوان نفسها مثل الأزرق، الأشهب، الأسود... لكن استخدام الألوان بشكل غير مباشر يعني استخدام اللفظ بدل اللون ويستخرج هذا اللون من هذا اللفظ، مثلاً عندما نريد أن نقول لون عيون الأزرق، نقول لون عيون سماوي أو لونها كلون البحر، لأنّ لون السماء والبحر عند العموم هو الأزرق، فنفهم أن لون عيون الأزرق. يستخدم أكثر هذه الألوان في النص الأدبي بواسطة الإستعارات والتشبيهات الجميلة.

«الشعر يبت ويتعرّع في أحضان الأشكال والألوان، سواء أكانت منظورة أم مستحضرة في ذهن الألوان ليست زمينة شكلية يعتمدها الشعراء، بل توظف للإغناء والتأثير، فهي تستخدم كي تقنع القارىء، وتنال إعجابه، وتشد انتباهه، وتصدم خياله، بإبراز الشكل أكثرحدة، وأكثر طرافة، وأكثر جمالاً»^٤. وكذلك «ويغدو اللون ميّزة خاصة تثير اهتمام الشعراء بالألوان، لإخراج قصائدهم لوحات فنية تعتبر وسيلة مهمّة في تصوير التجربة الإنسانية في عالم الشعر»^٥. في الواقع اللون لغة الشعر ويبيّن مشاعر الناس وعواطفهم. فاللون ركن من الأركان الأساسية للشعر. إن لم يكن اللون لانستطيع أن نرسم مشهداً في الشعر، وإن رسمناه فلن يكون جميلاً. وهذا يسبب الملل والتعب للقارىء عند القراءة لأن الأشعار لا روح ورونق لديها.

١- ظاهر محمد هزاع الزواهره، اللون ودلالاته في الشعر، ص ١٦-١٧.

٢- المصدر نفسه، ص ١٧ و١٦.

٣- أحمد عبد الله محمد حمدان، "رسالة: دلالات الألوان في شعر نزار قبّاني"، ص ٢٧.

٤- صالح الشيبوي، رؤى فنية، ص ٣١.

٥- ظاهر محمد هزاع الزواهره، اللون ودلالاته في الشعر، ص ٢٢٩.